الواقع التدريسي للغة الانجليزية في المرحلة الإعدادية من خلال مبادئ الطريقة التواصلية

لتعليم اللغات الأجنبية
د. لخضر عواريب
د. عبد الفتاح ابي مولود

الملخص

تهدف هذه الورقة إلى عرض مختلف المقاربات النظرية التي تناولت تدريس اللغات الأجنبية وبالخصوص اللغة الإنجليزية.

و نحاول أن نقــدم بعــض الإستراتيجيات لتدريس اللغات منهــا اســتراتيجية التــدريس التفاعلية من أجل تحسين تعلم اللغة الإنجليزية في المدرســة الجزائرية.

Cet article vise a exposer les différentes approches théoriques de l'enseignement des langues étrangères spécialement la langue anglaise.

Et propose quelques stratégies de l'enseignement des langues tel que l'approche communicative, pour améliorer l'apprentissage de la langue anglaise dans l'école algérienne

لقد عرف العالم منذ القدم تعدد الأمم والشعوب كما عرف تعدد اللغات و اللهجات و الحقيقة أن تعدد الأمم و الشعوب يؤدي لا محالة إلى تعدد لغاتها ، بل إن المجتمع الواحد إذا حدث فيه انقسام و تباعدت مجموعاته فإن ذلك يؤدي في النهاية إلى ظهور لغات متعددة ومختلفة.

وقد ذهب علماء اللغات إلى أن اختلاف اللغات التي تنتمي إلى الأسرة اللغوية الواحدة إنما مرجعه إلى الهجرات القديمة التي قام بها أبناء اللغة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها وهكذا تباعدت لهجاتهم عن اللغة الأصل و أصبحت متباينة في مفرداتها و كلماتها ومدلولاتها فيصبح الفهم بين أبناء لهجة وأخرى متعذرا أو مستحيلا في بعض الأحيان.(وطاس ، 1988 ، ص 238).

و إذا كانت مشكلة التواصل اللغوي مطروحة بهذا الشكل في العصور السابقة فإنها تطرح بشكل اكبر في هذا العصر نظرا للتغيرات الثقافية السريعة التي تطرأ على الحياة الاجتماعية التي تؤثر لا محالة على اللغة. فبالرغم من التطور العلمي الكبير الذي حدث في مجال الاتصال ، حيث أصبح الإنسان في عصرنا هذا قادرا على الاتصال بأية بقعة في العالم مهما تناءت و تباعدت و ذلك عن طريق الإذاعة والتلفزيون و المحطات الفضائية و الانترنت إلا أن الحاجز الأساسي الذي يحول دون الاستفادة من هذا الاتصال هو اللغة.

فاللغة كوسيلة اتصال طبيعية هي التي تسمح للفرد و للمجتمع بان يتعرفا على ثقافة الغير وان يستفيدا منها، و هذا يبرز في الحقيقة أهمية تعلم اللغات الأجنبية بالنسبة لجميع المجتمعات حتى يتحقق التعارف و التواصل الذي أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (الحجرات الاية13).
و من ثم اعتبر ديننا الحنيف تعلم اللغات الأخرى سنة من السنن و فهم لغات الشعوب ضرورة من الضرورات. و تحقيقا لهذا الأمر أمر الرسول (ص) كاتبه (زيد بن ثابت) بإجادة السريانية.

وفي هذا السياق: قال زيد بن ثابت أمرني رسول الله (ص) فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية فو الله ما مربي نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكنت اكتب له إليهم واقرأ له كتبهم إليه (رواه البخاري).

وتعتبر عملية التواصل صفة ملازمة لأي تجمع بشري و هي أساس أي تقدم يحرزه الإنسان في أي ميدان من ميادين الحياة ، وإذا كان هذا التواصل سـرا مـن أسرار أي نهضة يحدثها الإنسان فإن ضعفه كذلك يكون سببا في كثير من المشكلات و الأزمات التي تصيب الفرد و الجماعة على حد سواء ، ذلك أن عدم القدرة علـى فهم الغير والعجز عن التواصل معه يؤدي إلى التصارع بدلا من التفاهم.

وإذا كان الإنسان قد استطاع في العصر الحديث أن يحدث تطورا هائلا فـي وسائل الاتصال فإنه لازال عاجزا عن تطوير عملية الاتصال و الوصول بهـا إلـى الفعالية المطلوبة والسبب في ذلك بطبيعة الحال هو الاختلاف القائم في اللغة ، فهناك ثلاثة آلاف لغة تسود العالم اليوم مما يجعل عملية التواصل عملية صعبة و شاقة.

Mohamed Y. A1990 ,, p 07

صحيح أن الإنسان استطاع في العصر الحديث أن يتجاوز حـواجز الزمـان والمكان و أصبح بإمكانه أن يجلس على عتبة الآخر لكن الحواجز الثقافية والفكريـة ممثلة في اللغة بصفة خاصة ما زالت قائمة إلى يومنا هذا ، لان الاتصال الحقيقي لا يتمثل فقط في الاتصال المادي الآلي و إنما يتمثل في الاتصال الأدبي والروحي الذي يسمح بفهم الغير و الاستفادة منه و هذا لا يتأتى إلا من خلال اللغة.

و في ظل هذا الوضع تصبح دراسة اللغات الأجنبية و الـتمكن منهـا أمـرا ضروريا، وحسب منظمة اليونسكو فإن اتساع العلاقات الدولية في جميـع الميـادين وتقدم وسائل النقل والمواصلات تزيد بصورة مطردة ضرورة معرفة لغـة أجنبيـة واحـدة علـى الأقـل لدرجـة اسـتخدامها بسـهولة. (وطاس : 1988، ص241)

و بناء على ما سبق فإنه يمكن تلخيص أهمية تعلم اللغات الأجنبية في ما يلي:

- الاطلاع على ثقافات و آداب الأمم الأخرى و الاستفادة منها.
- توسيع مجال الفكر المحدود بسبب الاكتفاء بلغة واحدة.
- تبادل الآراء والأفكار و الخبرات.
- التقارب الدولي و التفاهم بين الشعوب الذي يؤدي إلى التعايش بينها.
- الاستفادة من حضارات الأمم المتقدمة.
- إثراء اللغة القومية في جميع المستويات.

– القضاء على الفكر الإقليمي الضيق و العصبية و التميز الجنسي والعرقي.

و إذا كان تعليم اللغات الأجنبية بصفة عامة أمرا هاما وضروريا فإن تعلـيم اللغة الانجليزية يحظى اليوم بأهمية خاصة ، ذلك أن اللغة الانجليزية تعتبـر اللغـة الأكثر استعمالا و هي اللغة المعتمدة في هيئات دولية متعددة ومختلفة.و هي كذلك لغة 70% من البريد العالمي. (Geoffrey , 1980 , p 1)

و مما يبرز أهميتها بشكل كبير استعمالها الواسع في ميدان العلم و البحـث و التكنولوجيا ، فنسبة هائلة من البحوث و الدراسات تنشر اليوم باللغة الانجليزية ممـا يوجب الاهتمام بهذه اللغة و توفير الإمكانيات اللازمة لتعلمها.

ولقد لقي تعليم اللغات الأجنبية في الجزائر اهتماما معينا منذ الاستقلال غيـر أن الإقبال على تعلم اللغة الانجليزية كان أكثر من الإقبال على تعلم اللغات الأخرى، وحتى التلاميذ الذين وجهوا إلى لغات أخرى كاللغة الألمانية تمنوا أن يتعلموا اللغـة الانجليزية.

(Hayane , 1989 , p 45)

وحتى يتسنى لنا تحقيق هده الفوائد من دراسة اللغات الأجنبية بصـفة عامـة ومن اللغة الإنجليزية بصفة خاصة فإن الأمر يقتضـي النهـوض بمسـتوى الواقـع التدريسي للغة الإنجليزية في جميع الجوانب ؛ في المقـررات الدراسـية ؛ طرائـق التدريس ؛ الكتاب المدرسي والتقويم التربوي.....الخ. كما يقتضي كذلك الأخـذ بعين الاعتبار ما توصل إليه التطور العلمي والتربوي في مجال تعليم اللغات الأجنبية ونخص بالذكر هنا الطريقة التواصلية في تعليم اللغة الأجنبية.

من المعلوم أن طرائق تدريس اللغات مرت بمراحل تاريخية معينة.

أولا الطريقة التقليدية: The Traditional Approach

ثانيا الطريقة التركيبية / البنيوية: The Structural Approach

ثالثا الطريقة التواصلية: The Communicative Approach

وتقوم هذه الطريقة على فكرة أن اللغة هي أداة التخاطب والتواصل بمعنى أن اللغة ليست مجرد قوالب وصيغ وتراكيب لا علاقة لها بحاجات الإنسان بل على العكس من ذلك هي أداة للتعبير عن الوظائف اللغوية المختلفة مثل الطلب والأمر والنهي والتمني كما أن الصيغة اللغوية الواحدة يمكن استخدامها للتعبير عن عدة وظائف لغوية تختلف باختلاف المواقف الاجتماعية وهدا يبرز مدى ارتباط اللغة بالمحيط الاجتماعي كما يبرز أهمية البعد التواصلي في اللغة. و من العوامل التي ساعدت على ظهور هذه الطريقة تطور النظريات اللغوية وكدا نظريات التعلم في علم النفس وخاصة منها النظرية المعرفية. إدا يمكن القول أن الخلفية التي تقوم عليها الطريقة التواصلية هي النظرية المعرفية التي ترى بأن التعلم بصفة عامة وتعلم اللغات بصفة خاصة لا يعتمد على فكرة المثير و الاستجابة كما تذهب إلى دلك النظرية السلوكية وإنما هو شكل من أشكال السلوك المعقد لا يرتبط فقط بالمؤثرات الخارجية وإنما يرتبط بذات الإنسان ومدى تفاعله مع هده العوامل والمؤثرات.

وحتى يتبين لنا إلى أي مدى يتطابق أو يختلف الواقع التدريسي للغة الإنجليزية مع الطريقة المذكورة يمكننا تلخيص مبادئها فيما يلي:

1- إنها تعتمد على مفهوم النظرية المعرفية للتعلم كما سبق وأن ذكرنا.

2- إن ملكة التواصل في اللغة الأجنبية ليست مجرد ملكة لغوية و إنما هي ملكة لغوية اجتماعية.

3- تقوم على عرض المادة الدراسية على أساس وظيفي وعلى أساس مواقف اجتماعية حياتية يحياها المتعلم. معنى آخر عرض المادة الدراسية بحيث تعمل على تعزيز قدرات المتعلم التواصلية بخلاف ما كان عليه الحال في الطرائق التقليدية أين كان عرض المادة الدراسية يتم على أساس القواعد والتراكيب اللغوية.

4- الاهتمام بالمواقف التعلمية التي تدفع المتعلم إلى القيام بعمل ما والمساهمة في نشاط معين باستخدامه للغة الأجنبية كأن يطرح الأسئلة ويسجل المعلومات التي فهمها ويتبادل الأفكار والخبرات ويعبر عن مشاعره بالصيغ اللغوية المناسبة وهدا يقتضي أن يكون عنصرا إيجابيا في العملية التعلمية بدل أن يقتصر دوره على التلقي فقط ؛ لأن هدا يتعارض مع عملية التواصل كهدف من أهداف تعلم اللغة الأجنبية .

5- التركيز على الجانب الوجداني للمتعلم ودلك يعني أن تكون المواضيع الدراسية المقررة والمواقف اللغوية المقترحة مرتبطة بميوله واهتماماته ومعبرة عن مشاغله وحاجاته وفي نفس الوقت تكون منسجمة مع محيطه المادي والاجتماعي لاسيما في المستويات الأولى من تعلم اللغة الأجنبية (خرما وحجاج : 1988 ، ص187)

إذاً هذه هي أهم المبادئ التي تقوم عليها الطريقة التواصلية في تعليم اللغات الأجنبية ، لكننا عندما نرجع إلى الواقع التدريسي الخاص باللغة الإنجليزية فإننا نجد مجموعة من المعوقات التي تحول دون تطبيق هده الطريقة رغم أنها هي التي تم التأكيد عليها في الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية.

- ومن بين المعوقات التي تعيق تطبيق هده الطريقة ما يلي:

1- كثافة البرنامج الدراسي: بمعنى أن هناك نوعا من الحشو في الدروس مما يضطر المدرس إلى الاعتماد على طريقة الإلقاء والشرح والترجمة إلى اللغة العربية من اجل إكمال البرنامج في الوقت المقرر وهدا بطبيعة الحال يكون على حساب المتعلم وعلى حساب الفرصة التواصلية التي ينبغي أن تمنح له في تعلم اللغة الأجنبية.

2- الحجم الساعي : يقابل كثافة البرنامج الدراسي قلة الحجم الساعي بمعنى عدم تناسب محتوى البرنامج مع الحجم الساعي المقترح؛حيث أن الحجم الساعي لا يتعدى ثلاثة 03 ساعات أسبوعيا في جميع المستويات من السنة الأولى إلى غاية السنة الرابعة متوسط (إعدادي) علما بأن المدرس مطالب بأن يقتص أوقاتا معينة من هذا الحجم الساعي للفروض المحروسة والواجبات الخاصة بالتقويم المستمر؛ كل ذلك يجعل في النهاية نصيب العملية التواصلية لا يمثل إلا الجزء اليسير من الوقت المخصص لتعلم اللغة الإنجليزية.

3- اكتظاظ الأقسام : ويرتبط بالحجم الساعي كذلك الأعداد الهائلة من التلاميذ التي تكتظ بها الفصول الدراسية ،فبحسب خبرتنا في التعليم (كمدرس سابق للغة الإنجليزية) وبحسب معايشتنا للواقع التعليمي واحتكاكنا بالمدرسين فإن الفصل الدراسي في أحسن الحالات لا يقل عن 40 تلميذا، وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذا العدد وقمنا بعملية حسابية فإننا نجد بأن نصيب التلميذ لا يتعدى دقيقة ونصف في الحصة الواحدة ولا يتعدى أربع دقائق ونصف أسبوعيا ولسنا ندري كم يكون نصيب العملية التواصلية من هذا الحجم الساعي.

4 – الكتاب المدرسي: يعتبر الكتاب المدرسي الوثيقة التعليمية المطبوعة التي تجسد البرنامج الرسمي لوزارة التربية الوطنية من أجل نقل المعارف للمتعلمين وإكسابهم بعض المهارات ومساعدة كل من المعلم والمتعلم على تفعيل سيرورة التعلم.
(حثروبي،1997، ص20).

و تبدو أهمية الكتاب المدرسي في أنه يساعد المتعلم على تثبيت الحقائق وفي حل الواجبات والتمارين المنزلية وتحضيره الدرس مما يساعد في النهاية على تحقيق التواصل بين المعلم والمتعلم ومن ثم ضمان التفاعل الصفي. غير أن الكتاب المدرسي بوصفه الحالي لا تتوفر فيه هذه المواصفات فهو غير قابل للاستعمال من طرف التلميذ إلا بمساعدة الأستاذ ذلك أنه لا يوجد فيه من الأمثلة والتدريبات ما يشجع المتعلم ويحفزه على استعماله ومراجعته خارج الحصة الدراسية المقررة، يضاف إلى ذلك نوعية النصوص التي يتضمنها فهي في كثير من الأحيان ما تكون صعبة ومعقدة ولا تتناسب مع المستوى اللغوي للمتعلم في هذه المرحلة وللبرهنة على ذلك يمكننا أن ندرج مثالا من كتاب السنة الثانية متوسط الملف 1 الوحدة 2 Spot Light On English Book Two File 1 Sequence 2
من هذا الكتاب وفي موضوع اكتشاف اللغةDiscover The Language
نجد الفقرة التالية:

Deficiencies in nutrition cause diseases. Certain foods contain important substances. These substances improve the development of the body. Scientists called them (vitamins). Meaning essential to life. Vitamins regulate the transformation of food into energy.p 62.

هذه فقرة بسيطة تتحدث عن أهمية الفيتامين في الغذاء والدور الذي تلعبه هذه الفيتامينات في جسم الإنسان وكيف أنها تحول الغذاء إلى طاقة معينة. فمواضيع من هذا النوع تبدو أنها مواضيع علمية، تحتوي على مصطلحات معقدة نوعا ما لا تتناسب مع مستوى متعلم في سنته الثانية من دراسته للغة الإنجليزية ومن ثم فإنها لا تساعد على تحقيق التواصل اللغوي المطلوب في العملية التعلمية.

و هناك الكثير من الأمثلة التي يمكن إدراجها في مختلف المستويات. كل هذا يؤكد ما طرحناه في هذه الإشكالية وهو أن تدريس الإنجليزية بالشكل القائم حاليا لا يساع علىتطبيق الطريقة التواصلية كما تنص عليها الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية.